الكبيرة الخامسة والستون: (**الجدال، والمراء، واللدد، ووكلاء القضاة**).

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَّ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ [البقرة: ٢٠٤- ٢٠٥]^، الآيات.

## (الشرح)

ثم أن ذكر هذه الكبيرة الجدال، والمراء، واللدد، ووكلاة القضاة، وهذه الأمور التي أشار إليها المصنف هي من الكبائر، لأنها ليست من أوصاف المسلم، ليس من أوصاف المسلم الجدل والمراء، واللدد، والمشادات، والخصومة، ونحو ذلك هذه ليست من خصال المسلم، فإذا كان الإنسان متصفًا بهذه الصفات فهذا ليس من أمرات الخير ولا علامته، ووكلاء القضاة يعني من يتوكلون أمور الناس عند القضاة، وهؤلاء منهم من يتوكل على وجه الإحسان والمطالبة بحقوق الناس بالمعروف، ودون تعدي ودون جور، وهناك من يحسن الخصومة ويحسن الجدل ويحسن المطالبة ويحسن اللحن بالحجة، حتى يستخرج ما ليس له فيه حق، أو ما ليس لمن يطالب له فيه حق، ولكن لجدله وقوة عارضته، وحسن معرفته بالنقاش والجدال يستطيع أن يقنع من أمامه من قاضي أو غيره، فيلحن في حجته ويقتطع بهذا اللحن مالاً حرامًا، وحكم القاضي في مثل هذه الحال لا يحلل الحرام عليه، يعني لو لحن في حجته أمام القاضي وحكم له القاضي فهذا لا يحلل الحرام، لا يحلل الحرام بل يبقي الحرام حرامًا، فهذه من الأمور التي هي ليست من خصال أهل الإيمان وأورد من الأدلة ما يشهد لذلك منها: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَّ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾[البقرة: ٢٠٤]^، وجاء في الحديث الصحيح أن أبغض الناس إلى الله: «الألد الخصم»، يعني الذي يجادل ويمارى فيه الجدال وفيه المراء ولا يهمه أن يكون مصيبًا أو محقًا المهم أنه أن يسكت من أمامه وأن يقطع حجة من أمامه، وأن يعلو على الآخرين ليس همه الحق والوصول إليه وبلوغه وإنما همته أن يرتفع على الآخرين وأن يمارى السفهاء، وأن

تظهر حجته عليهم، أو يظهر قوله عليهم، هذا همه، ولهذا جاء المصنف هنا بهذه الآية: ﴿يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾، يقول يشهد الله أو يعلم الله أنني على حق، أو أنني على صواب: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾، من أبغض الناس إلى الله ﷻ.

(المتن)

وقال تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[الزخرف: ٥٨]^.

(المتن)

﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾، جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه تلى هذه الآية، وذكر أن يعني من فتح عليه باب الجدل أغلق عليه باب العمل بمعنى هذا الكلام، قال ﷺ.

(المتن)

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾[غافر: ٥٦]^.

(الشرح)

هذه الآية سبق أن مرت معنا وفي إشارة أن الكبير له دور كبير جدًا في قضية المجادلة بالباطل.

(المتن)

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]^.

(الشرح)

المجادلة بالتي هي أحسن ليست مذمومة التي يقصد المجادل باللطف والإحسان بيان الحق لمن أمامه ودلالته على الطريق وإزالة الشبهة التي عرضت له هذا أمر يحمد ولا يذم.

(المتن)

وقال النبي ﷺ: «إن أبغض الرجال إلى الله تعالى الألد الخصم».

(الشرح)

«إن أبغض الرجال إلى الله تعالى الألد الخصم»، أنبه هنا أيضًا إلى أن قضية الخصومة وقوة العارضة ليست هي وحدها التي بها الوصول إلى الحق الوصول إلى الحق يصيبه من أصاب الحق، لا من قوية عارضته، أو قوية حجته، قد تكون عارضة الإنسان قوية وجداله قويًا والحق بعيدًا عنه، فليست العبرة حتى وإن أسكت خصمه، أو أفحم خصمه، أو أفحم من أمامه، قد يفحم من أمامه ويسكته والحق ليس معه، ولهذا يقولون: أن رجلاً جاء للإمام مالك ابن أنس رحمه الله، وقال: أريد أن أتناظر معك، قال له الإمام مالك: فإن غلبتني، قال: تتبعني، قال: فإن غلبتك، قال: أتبعك، قال: فإن جاء شخص ثالث وغلبنا، قال: نتبعه، قال: يا هذا ليس الدين لمن غلب، يعني ليس أصابت الحق لمجرد أن يغلب الإنسان في المجلس، قد يغلب ويسكت من أمامه والحق ليس معه، ولكنه لقوة في الجدل وقوة عارضته قد يسكت خصمه، فقال: يا هذا ليس الدين لمن غلب، هذه كلمة عظيمة جدًا الدين ليس لمن غلب إذًا الدين لمن؟ لمن أصاب الحق أصاب الكتاب والسنة، ولهذا جاء عنه أنه قال: في نفس القصة **(أو كلما جاءنا رجلٌ أجدل من رجلٍ تركنا الكتاب والسنة لجدله)**، فالدين ليس لمن غلب، والدين ليس بالجدال والخصومات، ولهذا عامة كتب العقيدة، للسلف يورد فيها آثار في ذم الجدال، والتحذير منه وبيان خطورة على الإنسان فالقضية ليست قضية جدل وخصومة، القضية معرفةِ حقٍ وإتباع لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

(المتن)

وروى رجاء أبو يحي صاحب السقط وهو لين، عن يحي بن أبي كثير، أن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من جادل في خصومةٍ بغير علمٍ لم يزل في سخط الله حتى ينزع».

(الشرح)

هذا ضابط في المسألة قوله: «بغير علم»، أما إذا كان عنده علم، يعني العلم هو كلام الله وكلام رسوله ﷺ وفهم الكتاب والسنة، إذا كان بعلم وأراد إقامة الحجة وبيان الهدىٰ للناس ورد الباطل فهذا يؤجر.

(المتن)

وروىٰ حجاج بن دينار وهو صدوق، عن أبي غالب، عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما ضل قومٌ بعد هدىً كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»، ثم تلا: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[الزخرف: ٥٨]^.

(الشرح)

هذا يفيد أن الإنسان إذا فتح عليه باب الجدل يكون سببًا للحرمان من العمل، وإذا أردت أن تعتبر هذا اعتبره بمثال كبير وواضح في حياة كثير من الناس يسهرون الليل في الجدل، وينامون عن صلاة الفجر: «ما ضل قومٌ بعد هدىً كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»، يفتح عليه باب الجدل ويحرمون العمل وهذا أخطر ما يكون علىٰ الإنسان أن تكون حياته في جدل، أما العمل الذي هو غاية العلم فهو في معزل عنه.

(المتن)

ويروىٰ عن النبي ﷺ: «إن أخوف ما أخاف علىٰ أمتي زلة عالم وجدا ل منافق بالقرآن، ودنيًا تقطع أعناقكم»، رواه يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عمر.

(الشرح)

هذه ثلاثة أمور ذكر أنه ﷺ: «أخوف ما يخافه علىٰ أمتي زلة عالم»، زلة عالم ولهذا يقولون: زلة العالِم زلة العالَم، إذا زل العالِم الناس يتأثرون بزلة لثقتهم به، والعالِم ليس بمعصوم، ولهذا أيضًا العلماء نبهوا علىٰ مسألة الباب ويقع فيها كثير من العوام تتبع زلات العلماء، وذكر أهل العلم أن هذا من الزندقة، ومن الخسران والحرمان أن الإنسان يتتبع زلات العلماء، أو مثلاً يريد فتوىٰ في حكم معين، أو في عملٍ معين فيطوف بالعلماء إلىٰ أن يجد من يفتيه علىٰ هواه أو

على رغبتـه، فتتبع الزلات أو الهفوات، أو الأخطـاء، أو العثرات فزلة العالم خافها النبي على أمه خوفًا شديدًا، والعالم قد يزل وقد يكون معذور، وقد يزل ولا يكون معذور لأنه لم يجتهد اجتهادًا تحرىٰ فيه إصـــابة الحق وإصــابة الهدىٰ، أو كان فيه لاجتهاده فيه نوع من الهوىٰ فلا يكون معذورًا، وقد يكون في زلته معذورًا اجتهد وأخطأ، وتحرىٰ الحق ولكنه أخطأ.

(المتن)

وقال رسول الله ﷺ: «المراء في القرآن كفر».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ: «من خصــام في باطل وهو يعلم لم يزل في سخط الله حتىٰ ينزع»، وفي لفظٍ: «فقد باء بغضب من الله»، أخرجه أبوا داوود.

ويروىٰ عن النبي ﷺ قال: «أخوف ما أخاف علىٰ أمتي كل منافق عليم اللســان»، وعنه ﷺ قال: «الحياء والعلم شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق».

(الشرح)

هنـا ذكر في هـذا الحـديث الأول: «كل منافق عليم اللســان»، وفي الحديث الذي قبله جدال المنافق بالقرآن، هنا الحقيقة مصيبة أو أمر خطير كان النبي ﷺ يخاف علىٰ الأمة منه، هو المنافق عليم اللســان، أو المنافق الذي علىٰ اطلاع، علىٰ الأدلة وعلىٰ النصــوص ويبدأ يتكلم ويورد الآيات، ويورد الأحاديث، ويورد الحجج، والأقوال يوردها ويضـرب بعضها بعضًا حتىٰ يلبس علىٰ النـاس ويوقعهم في الشــكوك في دينهم، فخطورة مثـل هـذا إذا كان عليم اللســان ويجادل بالقرآن يقرأ القرآن ويقرأ الأحاديث، ليس هدفه أن يصـيب هو الحق، ولا أيضًا هدفه أن يهدي الناس إلىٰ الحق، ولكن يقرأ القرآن ويقرأ الأحاديث ليلبس علىٰ الناس، و يشـكك عليهم في أديانهم وهذا يقع كثيرًا، وتجده يسـوق الآيات والأحاديث فهذا أخشىٰ ما كان يخشىٰ النبي ﷺ علىٰ أمته.